القــــرآن الكــريــــم

خصائصه - مزاياه ، ومنهج التعامل معه

إعداد الدكتور جابر إدريس عويشة

القرآن الكريم من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم .

فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما في الصدور ، فالقرآن نور يبدد الظلمات التي تخيم على القلب ، فيضيء عواطفه ، والتي تتراكم على العقل ، فيفتح أفكاره ، وتحيط بالروح ، فينعش أشواقها ، وتحدق بالحياة فيكشف لنا طريق حركتنا فيها (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّه نُورٌ وَكتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة:١٥) (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ) (الأنعام:١٥٧) .

والقرآن بصائر وعي نرى بها الحق فنتبعه ، والباطل فنجتنبه (هَذَا بَصَائِرُ للنّاس وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لقَوْم يُوقنُونَ) (الجاثية:٢٠) فهو هداية على الطريق الصحيح ؛ آياته كلها بينات لأنها مستنيرة بنوره ، مضيئة لنا دروب الحياة - وهو باب رحمة واسعة ندخله إذا ضاقت بنا الأبواب ، وهو (تثبيت) فالتحديات والصعوبات ، والزلازل الاجتماعية ، تحتاج إلى مصل التماسك حتى لا يتصدع كيان الأمة وينهار (وَقَالَ الّذينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزّلَ عَلَيْه الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحدَةً كَذَلكَ لنُثَبّتَ به فُؤَادَكَ وَرَتّلْنَاهُ تَرْتيلاً) (الفرقان:٣٢) القرآن ذكر

(وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْه منْ أَجْر إنْ هُوَ إلّا ذكْرٌ للْعَالَمينَ) (يوسف:١٠٤) والقرآن ذكر) (إنْ هُوَ إلّا ذكْرٌ للْعَالَمينَ) (صّ:٨٧)

والذكر هو يقظة العقل وصحوة القلب وانتباهة الروح ، فهو دائماً يذكرنا أن هناك رباً يرعى ويرحم ، ويشاهد و يسدد ، ويثيب و يعاقب .

وهو ذكرى (هدى وذكرى لأولي الألباب) (غافر : ٥٤) . فكثيراً ما ننسى أو ينسينا الشيطان ربنا وديننا ومسؤوليتنا والغاية من خلقنا ، فتأتي آيات القرآن فتذكرنا ذلك كله .

والقرآن تبيان لكل شيء قال تعالى : (وَنَزّلْنَا عَلَيْكَ الْكتَابَ تبْيَاناً لكُلّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى للْمُسْلمينَ) (النحل:٨٩) فيه القضايا الأساسية وأمهات المسائل الكبرى . فهو النبع الذي يرده كل عطاشى المعرفة والعلم والأخلاق .

وهو فرقان نميز به الحق من الباطل ، والخير من الشر والعدل من الظلم (تَبَارَكَ الّذي نَزّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْده ليَكُونَ للْعَالَمينَ نَذيراً) (الفرقان:١)

هذه بعض خصائص القرآن ومزاياه نستفيد منها :

أن كل صفة عامل من عوامل الجذب والتشجيع على الدخول عن عالم القرآن .

أن تنوع صفات ومزايا القرآن إشارة إلى كمالاته الكثيرة فهو ليس رحمة وحدها ، ولا شفاء وحده ، بل هو كل ما وصف به نفسه ، مما يستدعي اغتنام واستثمار فوائده كلها.

إن علاقة المسلمين مع القرآن أثبتت أن كل صفة من هذه الصفات مؤكدة وموثقة بتجارب عديدة فردية واجتماعية ، وذلك برهان على صدقه .

التعامل مع القرآن :

حثنا القرآن الكريم والسنة المطهرة على التعرف على القرآن الكريم ومعاهدته وتدبره وبين لنا معالم المنهج ، ورسم لنا حدود الطريق ، وأوضح المقصد والغاية (اقْرَأْ باسْم رَبّكَ الّذي خَلَقَ) (العلق:١) وروى مسلم عن أبي أمامة ، قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) . وروى البخاري عن عثمان بن عفان ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

وحبب رسول الله تحسين الصوت بتلاوته ، روى الشيخان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله يقول : (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) . ويروي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال له (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) .

وحث على الاجتماع على تلاوته ومدارسته ، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) .

وحض القرآن المسلمين على تدبر القرآن (كتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إلَيْكَ مُبَارَكٌ ليَدّبّرُوا آيَاته وَليَتَذَكّرَ أُولُو الْأَلْبَاب) (صّ:٢٩) .

وتأتي أهمية التدبر لالتماس بركة القرآن الكريم ، ولإصلاح قلوب العباد والثبات على سبيل الرشاد . فالتدبر والتفكير يورث المحبة والشوق ، والخوف والرجاء ، والشكر والصبر ، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب ، وقد أثنى الله على المتدبرين (إنّمَا الْمُؤْمنُونَ الّذينَ إذَا ذُكرَ اللّهُ وَجلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذَا تُليَتْ عَلَيْهمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبّهمْ يَتَوَكّلُونَ) (لأنفال:٢) .

أثر القرآن في المجتمع :

نزل القرآن على النبي في مجتمع تسوده الفوضى في نظام الاجتماع ، والوثنية في مجال الاعتقاد - فكان منهج القرآن منهج الإصلاح - جاءت آياته ترسم معالم التربية وتحدد المفاهيم ، وتقص أخبار السابقين ، وتحث على التأمل في السنن التي تحكم حركة الحياة وسلوك الأحياء ، وكان الرسول قد تحلى بالقرآن . فكانت حياته كلها سلباً وإيجاباً ، حركة وسكوناً ، إنما هي تفسير للقرآن . فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على منواله . فاتخذوا القرآن إماماً وقائداً . لم يتخذوه دراسة نظرية وإنما اتخذوه هداية عملية .

فتعامل الصحابة مع القرآن وارتباطهم به كان يقوم على أمرين :.

الاقتصار على النبع الصافي للقرآن الكريم - واعتبروه المصدر الأساسي للمعرفة .

التلقي للتنفيذ والتطبيق - قال ابن مسعود كنا نحفظ العشر من الآيات لا نجاوزهن حتى نحفظهن ونعلم ما فيهن من أحكام ونعمل بها . فجمعوا بين العلم والعمل والإيمان .

ولذلك أثر فيهم القرآن فحولهم من أعداء متحاربين إلى أخوة متحابين ، ومن أمة أمية إلى أمة تقود ركب الحياة ركب الحضارة .

ولا زال القرآن هو القرآن الذي وحد قبائل ، وجمع أشتاتاً ، وألف بين قلوب ، وكون أمة ، وأرسى قواعد حضارة نعتز بها لأنها بنيت على التقوى من أول يوم

المطلوب من جيل اليوم في تعاملهم مع القرآن .

القرآن الكريم هو صوت الحق الذي قامت به السموات والأرض - وهو من أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة . روى مسلم عن عمر رضي الله عنه (أن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) .

وهو سبيل الفوز والنجاة يوم القيامة روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله يقول (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)

فلا بد من استدعاء القرآن إلى ميادين الحياة العامة ، ولا بد من إشاعة ثقافة القرآن وتنشئة أجيال الصالحين عليها ، ولا بد من تعلم مقاصده وغاياته التي يدعو إليها ومنها :

التوحيد وهو ما جاء لأجله الدين ، والوحدة بين المسلمين .

العبادة التي تجلو القلوب وتهذب النفوس وتنمى فيها عرى الإيمان

مكارم الأخلاق وحسن المعاملة وكل ما يكفل صلاح المجتمع .

العظة والاعتبار بقصص الأولين لاختيار سبيل المحسنين .

جــوانــب مــن الإعــجــاز القــرآني

بقلم الدكتور مبارك ابراهيم التيجاني

قرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وإعجازه في نواحي متعددة ولكن في هذا الموجز أجمل الحديث في جانب من الإعجاز اللغوي وأصله في النقاط التالية :

أولاً : علم الإعجاز من أهم العلوم لتعلقه بأفضل الكتب ولأن صفة القرآن الأساسية أنه المعجزة الخالدة .

ثانياً : القرآن بحر زخار لا يدرك له قرار ، وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا .

ثالثاً : القرآن هو المعجزة الدائمة فهو لم يكن معجزة حسية تقرع الحس وتستولى على النفوس ثم تنتهي فلم يكن عصا تنقلب حية كعصا موسى أو ناراً تصير برداً وسلاماً كالنار التي ألقي فيها الخليل أو ناقة تخر من صخر أصم ولها رغاء كناقة صالح أو إبراء للأكمه والأبرص كإبراء عيسى وإنما كانت معجزة القرآن معجزة عقلية خالدة خلود الدهر باقية بقاء الإنسان .

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له
وأنت أحييت أجيالاً من العدم
جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بكتاب غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جمال العتق والقدم

رابعاً : بلغة القرآن وأسلوبه تحدى النبي صلي الله عليه وسلم فأعجز أساطين الفصحاء وأعيا مقاويل البلغاء وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية وإذا كان أهل الصناعة هؤلاء قد عجزوا عن معارضة القرآن فغيرهم أشد عجزاً وأفحش غياً .

خامساً : تنازل القرآن في التحدي من مثله إلى عشر سورة ثم إلى سورة واحدة قال تعالى : (قُلْ لَئن اجْتَمَعَت الْأنْسُ وَالْجنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بمثْل هَذَا الْقُرْآن لا يَأْتُونَ بمثْله وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبَعْض ظَهيراً) (الاسراء:٨٨) ثم نزل لهم في التحدي بقوله : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بسُورَة مثْله وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ منْ دُون اللّه إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ) (يونس:٣٨) ثم نزل يتحدى بسورة واحدة (وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْب ممّا نَزّلْنَا عَلَى عَبْدنَا فَأْتُوا بسُورَةٍ منْ مثْله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ منْ دُون اللّه إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ) (البقرة:٢٣) فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر .

سادساً : إعتراف الأعداء بفصاحة القرآن وبلاغته فها هو ذا الوليد بن المغيرة كان سيد قريش وأحد فصحائهم لما سمعه أخرس لسانه وبلد جنانه وأطفيء بيانه وقطعت حجته وقصم ظهره وظهر عجزه وذهل عقله حتى قال : (قد عرفنا الشعر كله هزجه ورجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر) قالت له قريش (فساحر) قال (قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثر وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته) . سمعت قولاً (يأخذ القلوب) قالوا مجنون قال والله ما هو بمجنون ولا بوسوسته ولا رعشته قالوا كاهن قال قد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم) .

سابعاً : القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم إذ تألف من مجموعة قالب لفظي مدهش وقشرة سطحية أخاذة أمتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غي ميوعة وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة وقد وصل هذا الجمال اللغوي والنظام الصوتي إلى قمة الإعجاز بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس لأعتل مذاقه في أفواه قارئيه و اختل نظامه في آذان سامعيه و بهذا فان الجمال اللغوي و النظام الصوتي كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى و بذلك يبقى القرآن أبد الدهر خالدا سائدا على السنة الخلق و في آذانهم و يعرف بذاته و مزاياه بينهم فلا يجروء أحد على تبديله و تغييره مصداقا لقوله تعالى (إنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذّكْرَ وَإنّا لَهُ لَحَافظُونَ) (الحجر:٩) .

ثامناً : أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معاً ويجمع بين الحق والجمال ، يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية ويوجه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب خلافاً لكلام البشر فإنه إن وفى بحق العقل بخس العاطفة حقها وإن وفى بحق العاطفة بخس العقل حقه وبمقدار ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر .

تاسعاً : القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني فالإعجاز في القرآن رائع ، أنظر إلى الأصمعي فحينما سمع جارية تنشد :

أستغفر الله من ذنبي كله
قبلت إنساناً بغير حله
مثل الغزال ناعماً في دله
إنتصف الليل ولم أصله

حينما سمعها الأصمعي قال لها : قاتلك الله ما أفصحك فقالت ويحك أوبعد هذا فصاحة . بعد قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إلَى أُمّ مُوسَى أَنْ أَرْضعيه فَإذَا خفْت عَلَيْه .....) (القصص:٧)

ثم بينت أن الآية على محدودية كلماتها قد جمعت بين أمرين هما : أرضعيه ، وألقيه في اليم ، ونهيين هما : لا تخافي ولا تحزني ، وخبرين هما : أوحينا وخفت ، وبشارتين هما : إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .

عاشراً : أقل ما يعجز من القرآن الكريم السورة قصيرة كانت أم طويلة أو ما يقدر بقدرها فإذا كانت الآية أو جزئها بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز .

حادي عشر : كل محاولات محاكاة القرآن باءت بالفشل فالذين خاضوا هذه المعركة أسفوا في القول وهبطوا في التفكير فإن ما جاءوا به على سخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل .

ثاني عشر : قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول واتساع وانقباض وحركة وجمود وحضارة وبداوة . والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه يطل على الجميع من سمائه وهو يشع نوراً وهداية ويفيض عذوبة وجلالاً ويسيل رقة وجزالة ويرف جدة وطلاوة ولا يزال كما كان غضاً طرياً يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلاً بصراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته (قُلْ لَئن اجْتَمَعَت الْأنْسُ وَالْجنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بمثْل هَذَا الْقُرْآن لا يَأْتُونَ بمثْله وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبَعْض ظَهيراً) (الاسراء:٨٨)

ونختم بختام سورة الصافات (سُبْحَانَ رَبّكَ رَبّ الْعزّة عَمّا يَصفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلينَ والحمد لله رب العالمين)

نماذج سلوكية

د . يوسف عثمان محمد

السلوك أحد أسباب الغلاء (١-٥)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وخير خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

يقول الله تعالى في محكم تنزيله (وَمَا أَصَابَكُم مّن مُّصيبَة فَبمَا كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثيرٍ) الشورى٣٠ وقال تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخذُ اللّهُ النّاسَ بظُلْمهم مّا تَرَكَ عَلَيْهَا من دَابّة وَلَكن يُؤَخّرُهُمْ إلَى أَجَل مُّسَمًّى فَإذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدمُونَ) النحل٦١، ذلك بأن الله خلق الدنيا ، وخلق فيها سننها ، ورتب على كل سنة نتائجها ، فمن اتبع سنن الخير جنى الخير ، ومن اتبع سنن الضلال كانت عليه نتائجها ، ومن السنن التي تحكم حياة الناس ما تعارف عليه رجال الاقتصاد بآلية السوق ، ومن هذه الآلية قانون العرض والطلب الذي يقضي بأن زيادة الطلب عن العرض ترفع الأسعار ، وزيادة العرض عن الطلب تكون من أسباب انخفاض الأسعار .

وعندما توسع الناس في تعريف الضروريات ، واتجهت أنماط السلوك نحو الاستهلاك وانصرفت عن الإنتاج زاد الطلب مقارنة بالعرض وارتفعت الأسعار ، وستظل تتصاعد حتى يغير الناس سلوكهم فيقتصدوا في تعريف الضروريات ويتجهوا نحو الإنتاج بجد يرفع المعروض من المنتجات مقارنة بالطلب عليها وعندما تنخفض الأسعار ويتحقق الرخاء حيث وضع إليه سبحانه وتعالى ذلك في إرادة وسلوك الإنسان ، وجعل حالها ناتجًا عن سلوكه ، فإذا أرادت الأمة أن يتغير حالها فليتغير سلوكها (لَهُ مُعَقّبَاتٌ مّن بَيْن يَدَيْه وَمنْ خَلْفه يَحْفَظُونَهُ منْ أَمْر اللّه إنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بقَوْم حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بأَنْفُسهمْ وَإذَا أَرَادَ اللّهُ بقَوْم سُوءًا فَلاَ مَرَدّ لَهُ وَمَا لَهُم مّن دُونه من وَال) الرعد١١وقال تعالى : (ذَلكَ بأَنّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيّرًا نّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْم حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بأَنفُسهمْ وَأَنّ اللّهَ سَميعٌ عَليمٌ) الأنفال٥٣.

وقد فهم سلف الأمة ذلك فاتبعوا سنن الخير ، فغير الله حالهم خلال فترة لا تعد شيئًا في عمر الأمم فصعدوا من حالة الجوع والبؤس والفرقة إلى حالة الرخاء والسيادة والقيادة ، واجتنبوا سنن الضلال فصرف الله عنهم كل سوء وسار قادة الأمة في رحاب الحق ، وهيؤوا الأسباب المعينة على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنواع المعروف فعلاً وأمرًا . فهل نتأسى بسلفنا وهل يعُود قادتنا إلى منابع الخير وأسباب السؤدد

ليس ذلك على الله بعزيز ... فلنصدق التوجه ، ولنعقد العزم ، ولنشحذ الهمم لنسير في الطريق الصاعد متحدين العقبات وعالمين أن الصعود أصعب كثيرًا من الانحطاط ، ولكنه ممكن لمن أراده ، فلنستعن بالله ولنبدأ ... وللحديث بقية .